هـــذا كتاب
الأفادة والاعتبار فى الأمور
المشاهدة والحوادث
المعاينـــة بأرض مصر
لعبـــد اللطيف
البغدادى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقالة الاولى وهى ستة فصول

الفصل الأول

فى خواص مصر العامة لها

أن أرض مصر من البلاد العجيبة الآثار الغريبة الأخبار . وهى واد يكتنفه جبلان شرقى وغربى . والشرقى أعظمهما . يبتديان من اسوان ويتقاربان بأسناحتى يكادا يتماسان ثم ينفرجان قليلا قليلا . وكلما امتدا طولا انفرجا عرضا حتى إذا آزيا الفسطاط كان بينهما مسافة يوم فادونه . ثم يتباعدان أكثر من ذلك والنيل ينساب بينهما ويتشعب بأسافل الارض وجميع شعبه تصب فى البحر المالح

وهذا النيل له خاصتان . الاولى — بعد مرماه . فانا لانعلم فى المعمورة نهراً أبعد مسافة منه لأن مباديه عيون تأتى من جبل القمر وزعموا أن هذا الجبل وراء خط الاستواء باحدى عشرة درجة وعرض اسوان وهى مبدأ أرض مصر اثنتان وعشرون درجة ونصف درجة . وعرض دمياط وهى أقصى أرض مصر احدى وثلاثون درجة وثلث درجة . فتكون مسافة النيل على خط مستقيم ثلاثا وأربعين درجة تنقص سدسا ومساحة ذلك تقريبا تسع مائة فرسخ هذا سوى مايأخذ من التعريج والتوريب فان اعتبر ذلك تضاعفت المساحة جداً

والخاصة الثانية — أنه يزيد عند نضوب سائر الانهار وتشيش المياه لأنه يبتدىء بالزيادة عند انتهاء طول النهار وتتناهى زيادته عند الاعتدال الخريفى وحينئذ تفتح الترع وتفيض على الاراضى . وعلة ذلك أن مواد زيادته أمطار

غزيرة دائمة وسيول متواصلة تمده فى هذا الاوان فان امطار الاقليم الاول والثانى انما تغزر فى الصيف والقيظ

وأما أرض مصر فلها أيضا خواص منها أنه لايقع بها مطر الا ما لا احتفال به وخصوصاً صعيدها فأما أسافلها فقد يقع بها مطر جود لكنه لايفى بحاجة الزراعة . وأما دمياط والاسكندرية ومادانا هما فهى غزيرة المطر ومنه يشربون وليس بأرض مصر عين ولا نهر سوى نيلها

ومنها أن أرضها رملية لاتصلح للزراعة لكنه يأتيها طين اسود علك فيه دسومة كثيرة يسمى الابليز يأتيها من بلاد السودان مختلطاً بماء النيل عند مده فيستقر الطين وينضب الماء فيحرث ويزرع . وكل سنة يأتيها طين جديد ولهذا يزرع جميع أراضيها ولا يراح شيء منها كما يفعل فى العراق والشام لكنها يخالف عليها الاصناف . وقد لحظت العرب ذلك فانها تقول اذا كثرت الرياح جادت الحراثة لأنها تجيء بتراب غريب ونقول أيضاً إذا كثرت المؤتفكات زكا الزرع . ولهذه العلة تكون أرض الصعيد زكية كثيرة الأتاء والربع اذا كانت أقرب الى المبدأ فيحصل فيها من هذا الطين مقدار كثير بخلاف أسفل الارض فانها أسافة مضوية اذ كانت رقيقة ضعيفة الطين لأنه يأتيها الماء وقد راق وصفا ولا أعرف شبيها بذلك إلا ماحكى لى عن بعض جبال الأقليم الاول أن الرياح تأتيه وقت الزراعة بتراب كثير ثم يقع عليه المطر فيتلبد فيحرث ويزرع فاذا حصد جاءته رياح أخرى فنسفته حتى يعود أجرد كما كان أولا . ومنها أن الفصول بها متغيرة عن طبيعتها التى لها فان أخص الاوقات باليبس فى سائر البلاد أعنى الصيف والخريف تكثر فيه الرطوبة بمصر بمد نيلها وفيضه لأنه يمد فى الصيف ويطبق الارض فى الخريف . فأما سائر البلاد فان مياهها تنش فى هذا الأوان وتغزر فى أخص الاوقات بالرطوبة أعنى الشتاء والربيع ومصر إذ ذاك تكون فى غاية القحولة واليبس ولهذه العلة تكثر عفوناتها واختلاف هوائها وتغلب على أهلها الأمراض العفنية الحادثة عن اخلاط صفراوية وبلغمية وقلما تجد فيهم أمراضا صفراوية خالصة بل الغالب عليها البلغم حتى فى الشباب والمحرورين . وكثيراً

مايكون مع الصفراخام . وأكثر أمراضهم فى آخر الخريف وأول الشتاء لكنها يغلب عليها حميد العاقبة وتقل فيهم الامراض الحادة والدموية الوحية وأما أصحاؤهم فيغلب عليهم الترهل والكسل وشحوب اللون وكمودته وقلما ترى فيهم مشبوب اللون ظاهر الدم وأما صبيانهم فضاوون يغلب عليهم الدمامة وقلة النضارة وانما تحدث لهم البدانة والقسامة غالبا بعد العشرين . وأما ذكاؤهم وتوقد أذهانهم وخفة حركاتهم فلحرارة بلدهم الذاتية لان رطوبته عرضية . ولهذا كان أهل الصعيد أخفل جسوما وأجنب أمزجة والغالب عليهم السمرة وكان ساكنو الفسطاط الى دمياط أرطب أبدانا والغالب عليهم البياض . ولما رأى قدماء المصريين أن عمارة أرضهم انما هى بنيلها جعلوا أول سنتهم أول الخريف وذلك عند بلوغ النيل الغاية القصوى من الزيادة

ومنها أن الصبا محجوبة عنهم بجبلها الشرقى المسمى المقطم فانه يستر عنها هذه الريح الفاضلة وقلما تهب عليهم خالصة اللهم إلا نكبا . ولهذا اختار قدماء المصريين أن يجعلوا مستقر الملك منف ونحوها مما يبعد عن هذا الجبل الشرقى الى الغربى واختار الروم الاسكندرية وتجنبوا موضع الفسطاط لقربه من المقطم فان الجبل يستر عما فى خلفه أكثر مما يستر عما بعد منه . ثم ان الشمس بتأخر طلوعها عليهم فيقل فى هوائهم النضج ويبقى زمانا على نهوة الليل ولذلك تجد المواضع المنكشفة للصبا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها ولكثرة رطوبتها يتسارع العفن اليها ويكثر فيها الفار ويتولد من الطين والعقارب تكثر بقوص وكثيراً ماتقتل بلبسها والبق المنتن والذباب والبراغيث تدوم زمانا طويلا

ومنها أن الجنوب اذا هبت عندهم فى الشتاء والربيع وفيما بعد ذلك كانت باردة جداً ويسمونها المريسى لمرورها على أرض المريس وهى من بلاد السودان . وسبب بردها مرورها على برك ونقائع . والدليل على صحة ذلك أنها اذا دامت أياماً متوالية عادت الى حرارتها الطبيعية وأسخنت الهواء وأحدثت فيه يبسا